خطبة صلاة الجمعة 25/9/2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(إطعام الطعام في أيام الصبر)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: 1 – 20]

عنوان خطبة اليوم **(إطعام الطعام في أيام الصبر)**

أيها الإخوة:

سمعتم الآيات المتلوة في مطلع الخطبة وهي آيات سورة البلد، وهي سورة مكية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لتواسيه في زمن الشدة في مكة مما يكابده من قريش، يقسم الله تعالى فيها بمكة وقد حل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقسم بكل والد وما ولد لقد خُلق هذا الإنسان مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد، والتعب والنصب، وتدعو السورة المؤمن لإطعام الطعام عند الشدائد

والصبر، وتدعوه لعتق الرقاب والتراحم ليكون بذلك من أهل اليمين فينجو ويسمو، فقد جمعت السورة كما سمعتم بين الصبر وإطعام الطعام ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

وأصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة وهم أصحاب الدرجات العلا وهم أصحاب الفوز المبين.

أيها الإخوة:

إطعام الطعام وسقي الماء باب من أبواب الفرج؛ ففي الشدة ترى بعض أغنياء البلدة صاروا متوسطي الحال، وأصحاب الدخل المتوسط صاروا من أهل الفقر، ونزل الفقراء تحت خط الفقر، واحتاج عدد من الناس لقوتهم وقوت عيالهم.

كان العرب قبل الإسلام يحبون إطعام الطعام لمن يعرفون ومن لا يعرفون، فجاء الإسلام وعزز فيهم ذلك في الأوقات عامة وفي زمن الشدائد خاصة.

جعل العرب للطعام الذي يقدمونه للآخرين أكثر من عشرة أسماء، وكثرة الأسماء دليل على الاهتمام بالمسمى:

فطعام الضيف يسمي القِرَى، وإذا كانت هناك دعوة خاصة تسمى مَأدُبَة، وطعام الزائر السريع يسمى التُّحْفة، وإذا كان هناك عرس سمي طعامه الوليمة، وإذا وُلد لك مولود سمي طعامه الخُرْسْ، وإذا بلغ المولود اليوم السابع صَنَعَ والده طعاماً سمي العقيقة، وإذا أقيم عزاء ومأتم سمي طعامه الوضيمة، وإذا قَدِمَ رجل من السفر فقدِّم له طعام سمي النقيعة، وإذا دخل الرجل بأهله وَبَنَى بهم وجاءه الضيفان بعد أيام سمي طعامهم الوكيرة، وإذا قدمت طعاماً للضيف ريثما يحضر الطعام سمي السُّلْفَة، إذا كان الضيف في عجلة قدم له طعام سمي العُجالة. [فقه اللغة للثعالبي].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»** [الترمذي].

قال تعالى في صفة الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 8-11].

قال العلماء: هاء الضمير في قوله ﴿حُبِّهِ﴾ تعود على: حب الله تعالى، وقيل: على حبهم للطعام، وقيل: حبهم لإطعام الطعام.

وقال تعالى في أوصاف أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: 42-44]. وقال سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 1-3].

فالمكذب بالدين: لا يطعم المسكين ولا يشجع الناس على إطعامه أيضاً.

عقد الحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد باباً عنونه بباب إطعام الطعام ذكر فيه عدداً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة إطعام الطعام من ذلك حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مَنْ ظَاهِرِهَا**» فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا، وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» [رَوَاهُ أَحْمَد].

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي بِأَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «**أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» [رَوَاهُ أَحْمَد].

إن الزكاة ركن من أركان الإسلام وبعض أصناف الزكاة طعام، فزكاة الزروع زروع، وزكاة الثمار ثمار، وزكاة الأنعام أنعام، وكل هذا طعام.

كما أن أصل صدقة الفطر طعام، فالأصل في زكاة الفطر إخراج صاع من تمر أو بُرٍّ أو شعير، لكن عندما قَلَّ تعامل الناس بهذه الأصناف صار يؤخذ قيمة ذلك من المال.

والأضحية والعقيقة كلاهما إطعام طعام.

وفي القوانين الوضعية عقوبات للمخالفات، كدفع غرامة مالية أو سجن ونحو ذلك، ولكن الإسلام جعل بالإضافة لذلك إطعام الطعام كفارة عن بعض المخالفات الشرعية:

منها: كفارة الظهار؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: 3-4].

ومنها كفارة اليمين قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: 89].

ومنها كفارة من جامع زوجه في يوم رمضان عامداً عارفاً بالحكم صيام ستين يوماً فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

هذه التربية الإسلامية للمؤمن في أن يبذل الخير للآخرين وأن يعين الآخرين وأن يطعم من الطعام ما وجد من غير تكلف أنشأت أمة تبذل وتعين ويساعد بعضها بعضاً.

ذكروا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما «كَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَيُقِيمُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ يَتِيمٌ».

عن أصبغ بن زيد قال: ((كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عُرياناً فلا تؤاخذني به)) [حلية الأولياء].

كان أبان بن أبي عياش يدعو إخوانه فيصنع لهم الطعام ويجيزهم بالدراهم.

وكان حماد بن أبي سليمان يفطّر كل ليلة في شهر رمضان مائة إنسان، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً، وأعطاهم مائة مائة.

وكان بعض الصالحين إذا أكل الأكلة يدعو فيقول: اللهم لا تؤاخذني بحق الجائعين.

أعرف بعض الإخوة إذا أنهى طعامه قال: (اللهم أطعم فقراء المسلمين ومساكينهم مثل الذي أطعمتني).

وتعلمون أن عدداً من مدارسنا الشرعية فيها أقسام داخلية يأكل فيها الطلاب ويشربون ويدرسون ويكتسون، وإنما طعامهم من بعض رجال الخير فينا وكسوتهم من آخرين.

وجمعياتنا الخيرية التي تعيل أسراً عفيفة أو أيتاماً، إنما تقدم لهم الطعام والكساء من تبرعات تجارنا وصناعنا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**».

أيها الإخوة:

لإطعام الطعام في وقت الشدائد سِرٌّ مُتوارَث عن آبائنا وأجدادنا:

فالرجل يقع في ضائقة مالية فيطعم الطعام على نية أن يوسع الله تعالى عليه فترى السعة تأتيه.

والمريض يعجز الأطباء عنه، فيطعم أهلُه الطعام على نية شفائه فيشفى بإذن الله.

والأمر العسير يحيط بشاب، فيطعم الطعام على نية التيسير فينفتح المغلق ويتسع المضيق.

والكتب والواقع يشهدان بذلك.

بالقرب من جامع الشيخ محيي الدين بن عربي وفي التكية السليمية يوزع بعد فجر كل خميس شوربة الشيخ محيي الدين هريسة اللحم والقمح منذ أكثر من خمسمائة عام، وكانت التكية تقدم الطعام للطلاب الوافدين من الدول العربية والأجنبية، إضافة لمدارس الصالحية ثم أصبحت التكية تقدم هذه الطبخة للفقراء والمحتاجين من أهل الحي وباقي الأحياء المجاورة. كل طبخة تستهلك قريباً من مائة وخمسين كيلوغراما من اللحم، ومائتي كيلو من القمح، وعشرة كيلو من الدهن، ويحدثكم من يشتري اللحم والقمح والدهن ليقدمه للطهاة عن أمور عجيبة أكرمهم الله بها من شفاء مريض أو عودة غائب أو تيسير عسير.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ**» [الترمذي].

أيها الإخوة:

إن من أبواب الفرج في أيام الصبر إطعامَ الطعام وسقي الماء، وابدأ بالقريب ثم الأبعد فالأبعد.

أخرج الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خياركم من أطعم الطعام**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعًا، أو تقضي عنه دينًا**» (الطبراني).

والحمد لله رب العالمين